على احتواء الرقم الفلسطيني، فقوّى لديهم بالتالي اتجاه تجاهل الفلسطينيين ومنظمتهم.

ولقد اصيب هذا الاتجاه الاسرائيلي بنكسة قوية مع الاعتراف العالمي والعربي بمنظمة التحرير الفلسطينية، في خريف العام ١٩٧٤، ممثلا شرعيا وحيدا للفلسطينيين. بل راحت ترتفع داخل الكيان الصهيوني بعض الاصوات الداعية الى اعادة النظر في الموقف من الفلسطينيين عامة، ومنظمتهم خاصة. غير انه قبل ان يبلغ هذا المسار مداه ويفرز اية تغييرات ملموسة كان «الرئيس المؤمن» انور السادات، في اولى «شطاراته» اياها، يوجه طعنة لهذا الانجاز، ولم يمر على تحقيقه الا بضعة اشهر، بدعوته، في صيف العام ١٩٧٥، الى «اقتسام» تمثيل الفلسطينيين بين منظمة التحرير الفلسطينية والاردن. وسرعان ما عاد الاسرائيليون الى مواقفهم السابقة، بل زادوا من شراستهم بعد ان ادركوا ان في مسألة تمثيل الفلسطينيين من الجدية ما يمكن ان يفسد عليهم الكثير، وقد يسد الطريق الى التفاهم مع العرب. ولذلك، كان لا بد من القضاء على مقولة التمثيل والممثل معا. ومنذ ذلك الوقت، رأينا العجب العجاب من تواطؤ انظمة دول الطوق او بعض قادتها مع العدو الصهيوني، كل حسب تطلعاته وقدراته. ففي سنة ١٩٧٦، وفيما الحرب الاهلية مستعرة في لبنان، في اولى حلقاتها، بعد ان اقحم الفلسطينيون فيها رغما عنهم، توصلت اسرائيل، بواسطة الاميركيين، الى «تفاهم» مع نظام حافظ الاسد في سوريا، غضت بموجبه الطرف عن دخول الجيش السوري الى لبنان؛ وذلك بهدف معلن هو محاولة العمل على انهاء الحرب الاهلية في لبنان، وآخر مبطن هو احتواء منظمة التحرير الفلسطينية واخضاعها للارادة البعثو ـ سورية. ولم يخيب جيش الاسد آمال الاسرائيليين به، فدخل في معارك طاحنة مع القوات الفلسطينية، التي لم «توفره» بدورها؛ وللتاريخ فقط، كان المنشق ابو موسى احد ابطال تلك المعارك، بطل «بحق وحقيق». وللتاريخ ايضا «فقط»، ان اسحق رابين، رئيس وزراء اسرائيل حينذاك، قد وصف تلك المعارك بقوله المأثور: لقد استطاع الجيش السوري ان يقتل خلال يومين عددا من «المخربين»(!) الفلسطينيين يفوق ذلك الذي قتله منهم الجيش الاسرائيلي خلال سنتين!! ومنذ ذلك الوقت لم تتوقف، على كل حال، المحاولات البعثو ـ سورية للسيطرة على لبنان والفلسطينيين واحتوائهم، وان كانت تخلع ثوبا وتلبس آخر، بين الفينة والاخرى، في ضوء المتاعب او التسهيلات التي كانت من نصيب الوجود السوري هناك، حسب المزاج الطائفي السائد في البلد.

ولا تمر الا سنة ونيف على دخول القوات السورية الى لبنان حتى كان السيد الرئيس انور السادات يقوم بزيارته الشهيرة الى اسرائيل، التي ادت، في نهاية الامر، الى توقيع اتفاق سلم بين الكيان الصهيوني ومصر، كبرى الدول العربية. وبموجب هذا الاتفاق، «باع» السادات عمليا المشرق عامة، والفلسطينيين خاصة، ومنظمة التحرير الفلسطينية بخصوصية اكثر، تاركا للاسرائيليين حرية العمل في هذه المجالات، لقاء استعادة الاراضي المصرية المحتلة في سيناء، ومزاحمة الاسرائيليين على لعب دوراكبر في كنف السياسة الاميركية. ولقد استفادت اسرائيل من حرية العمل التي منحت لها، باخراج مصر من حلبة الصراع، افادة جمة، فكثفت استيطانها في المناطق الفلسطينية المحتلة، وخصوصا الضفة الغربية، وشددت قبضتها على القدس، وقامت بضم الجولان اليها، وشنت عشرات الغارات الوحشية على اماكن تجمعات الفلسطينيين في لبنان.

وقبل ان يحين موعد تنفيذ المرحلة الاخيرة من اتفاق السلم ذاك بانسحاب اسرائيل من سيناء، مما قد يزيح عن كاهل مصر عبئاً صعباً، ويفتح امامها الطريق للعودة الى لعب دور ما مؤثر على الساحة العربية، كان بشير الجميل، بمباركة والده بيار ومشاركة كميل شمعون وغيرهم من